

## التعريف بكتاب

## رياض الصالحين

من كلام رسول الله (صلى الله عليه وسلم) سيّد العارفين

### تصنيف

شيخ الإسلام الإمام محيي الدين، أبي زكريّا، يحيى بن شرف النّواويّ الشافعي،  
[ولد (٦٣١هـ)، وتوفي (٦٧٦هـ). عاش (٤٥) سنة] رضي الله عنه.

الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه،  
أما بعد: فإن من أجلّ كتب التربية الإسلامية كتاب رياض الصالحين للإمام النووي رحمه الله، وقد طبع  
طبعت كثيرة، وانتشر في أرجاء المعمورة شرقاً وغرباً؛ لأن الله تعالى كتب له القبول، وقد قال الإمام ابن السبكي رحمه  
الله: "لَا يَخْفَى عَلَى ذِي بَصِيرَةٍ أَنَّ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عناية بالنووي وبمصنفاته" (١). فقلما تجد مسلماً إلا وفي بيته نسخة  
منه سواء كان عالماً أو متعلماً أو غيرهما، وقد ترجم إلى لغات عالميّة، وعلق العلماء عليه وشرحوه، ومنهم من اختصره،  
وقد جمع فيه رحمه الله آيات بينات، وأحاديث نبوية، وقصص الصالحين وأقوالهم، وأحكاماً شرعية فضلاً عن شرح غريبه،  
ضمن منهج إيماني وعلمي رصينين، يحث المؤمنين على التخلق بالأداب الظاهرية والباطنية، مبتدأ بالأعمال القلبية  
(القلبيات)، ثم بالسلوكيات، ثم بالثواب والجزاء، فمن قرأه وفهمه وعمل بما فيه قدر المستطاع يهديه إلى السعادة  
الدنيوية والأخروية.

### تعريف الكتاب

**العنوان الكامل:** رياض الصالحين من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد العارفين.

**المؤلف:** شيخ الإسلام، الإمام، الحافظ، الفقيه، الأصولي الزاهد، محيي الدين، أبو زكريا، يحيى بن شرف بن مُرسي بن حسن  
النّواويّ الشافعي رحمه الله.

**تاريخ التأليف ومكانه:** يوم الإثنين، ٤ / رمضان / ٦٧٠ هـ. أي قبل (٧٧٣ سنة)، في دمشق.

**عدد الأحاديث والكتب والأبواب:** يتضمن الكتاب (١٩٣٦) حديثاً (٢)، ويحتوي على: (١٩) كتاباً، و(٣٦٣) باباً  
(٣).

**الأحاديث المكررة:** فيه (١٦٨) حديثاً مكرراً (٤).

ذكر المصنف رحمه الله بعد المقدمة (٨٣) باباً، دون ذكر أي كتاب، وهي:

**باب:** الإخلاص وإحضار النية في جميع الأعمال والأقوال والأحوال البارزة والخفية، **باب:** التوبة، **باب:** الصبر، **باب:**  
الصدق، **باب:** المراقبة، **باب:** التقوى، **باب:** اليقين والتوكل، **باب:** في الاستقامة، **باب:** في التفكير في عظيم مخلوقات الله

(١) طبقات الشافعية الكبرى: (٨ / ٣٩٨).

(٢) أو: (١٩٠٥ / ط: الحلبي)، أو: (١٨٩٦ / ط: شعيب الأرنؤوط)، أو: (١٨٩٤ / ط: دار المشاريع).

(٣) اعتمدنا في عدد الكتب والأبواب والأحاديث على نسخة دار المنهاج، الطبعة السابعة، سنة (١٤٣٦ هـ = ٢٠١٥ م).

(٤) مقدمة روح ورياحين: ص (٧)، وعند غيره من بعض الطبقات (٣٧٢) باباً.

تعالى، وفناء الدنيا، وأهوال الآخرة، وسائر أمورهما وتقصير النفس وتهذيبها وحملها على الاستقامة، **باب:** في المبادرة إلى الخيرات، وحث من توجه لخير على الإقبال عليه بالجدّ من غير تردّد، **باب:** في المجاهدة، **باب:** الحثّ على الازدياد من الخير في أواخر العمر، **باب:** في بيان كثرة طرق الخير، **باب:** في الاقتصاد في الطاعة، **باب:** في المحافظة على الأعمال، **باب:** في الأمر بالمحافظة على السنّة وآدابها، **باب:** في وجوب الانقياد لحكم الله تعالى، وما يقوله من دعي إلى ذلك، وأمر بمعروف أو نهي عن منكر، **باب:** في النهي عن البدع ومحدثات الأمور، **باب:** فيمن سنّ سنّة حسنة أو سيّئة، **باب:** في الدلالة على خير، والدعاء إلى هدى أو ضلالة، **باب:** في التعاون على البرّ والتقوى، **باب:** في النصيحة، **باب:** في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، **باب:** تغليظ عقوبة من أمر بمعروف أو نهي عن منكر وخالف قوله فعله، **باب:** الأمر بأداء الأمانة، **باب:** تعظيم حرّات المسلمين، وبيان حقوقهم والشفقة عليهم ورحمتهم، **باب:** ستر عورات المسلمين والنهي عن إشاعتها لغير ضرورة، **باب:** قضاء حوائج المسلمين، **باب:** الشفاعة، **باب:** الإصلاح بين الناس، **باب:** فضل ضعفه المسلمين والفقراء والخاملين، **باب:** ملاطفة اليتيم والبنات وسائر الضعفة والمساكين والمنكسرين، والإحسان إليهم، والشفقة عليهم، والتواضع معهم، وخفض الجناح لهم، **باب:** الوصيّة بالنساء، **باب:** حقّ الزوج على المرأة، **باب:** النفقة على العيال، **باب:** الإنفاق ممّا يحبّ ومن الجيّد، **باب:** وجوب أمره أهله وأولاده المميّزين وسائر من في رعيّته بطاعة الله تعالى، ونهيهم عن المخالفة، وتأديبهم، ومنعهم من ارتكاب منهيّ عنه، **باب:** حقّ الجار والوصيّة به، **باب:** برّ الوالدين وصلة الأرحام، **باب:** تحريم العقوق وقطيعة الرحم، **باب:** فضل برّ أصدقاء الأب والأمّ والأقارب والزوجة وسائر من يُندب إكرامه، **باب:** إكرام أهل بيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وبيان فضلهم، **باب:** توقير العلماء والكبار وأهل الفضل، وتقديمهم على غيرهم، ورفع مجالسهم، وإظهار مزيّتهم، **باب:** زيارة أهل الخير ومجالستهم وصحبتهم ومحبتهم، وطلب زيارتهم والدعاء منهم، وزيارة المواضع الفاضلة، **باب:** فضل الحبّ في الله تعالى، والحثّ عليه، وإعلام الرجل من يحبّه أنه يحبّه، وماذا يقول له إذا أعلمه، **باب:** علامات حبّ الله تعالى العبد، والحثّ على التخلّق بها والسعي في تحصيلها، **باب:** التحذير من إيذاء الصالحين والضعفة والمساكين، **باب:** إجراء أحكام الناس على الظاهر، وسرائرهم إلى الله تعالى، **باب:** الخوف، **باب:** الرجاء، **باب:** فضل الرجاء، **باب:** الجمع بين الخوف والرجاء، **باب:** فضل البكاء من خشية الله تعالى وشوقاً إليه، **باب:** فضل الزهد في الدنيا، والحثّ على التقلّل منها، وفضل الفقر، **باب:** فضل الجوع وخشونة العيش، والاقتصار على القليل من المأكل والمشروب والملبوس وغيرها من حظوظ النفس، وترك الشهوات، **باب:** القناعة والعفاف، والاقتصاد في المعيشة والإنفاق، وذمّ السؤال من غير ضرورة، **باب:** جواز الأخذ من غير مسألة ولا تطلّع إليه، **باب:** الحثّ على الأكل من عمل يده، والتعفّف به من السؤال والتعرّض للإعطاء، **باب:** الكرم والجود والإنفاق في وجوه الخير ثقةً بالله تعالى، **باب:** النهي عن البخل والشحّ، **باب:** الإيثار والمواساة، **باب:** التنافس في أمور الآخرة، والاستكثار ممّا يتبرّك به، **باب:** فضل الغنيّ الشاكر، وهو من أخذ المال من وجه وصرّفه في وجوهه المأمور بها، **باب:** ذكر الموت وقصر الأمل، **باب:** استحباب زيارة القبور للرجال، وما يقوله الزائر، **باب:** كراهية تمنيّ الموت بسبب ضرر نزل به، ولا بأس به لخوف الفتنة في الدين، **باب:** الورع وترك الشبهات، **باب:** استحباب العزلة عند فساد الناس والزمان، أو الخوف من

° هكذا أثبتتها الشيخ د. ماهر الفحل في تحقيقه رياض الصالحين، وهو الموافق للغة. (٦٢ - باب الإيثار والمواساة: ١٩٠).

فتنة في الدين، وقوع في حرام وشبهات ونحوها، **باب: فضل الاختلاط بالناس،** وحضور جمعهم وجماعاتهم، ومشاهد الخير ومجالس الذكر معهم، وعبادة مريضهم، وحضور جنازتهم، ومواساة محتاجهم، وإرشاد جاهلهم، وغير ذلك من مصالحهم لمن قدر على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقمع نفسه عن الإيذاء، وصبر عن الأذى، **باب: التواضع** وخفض الجناح للمؤمنين، **باب: تحريم الكبر والإعجاب، باب: حسن الخلق، باب: الحلم والأناة والرفق، باب: العفو والإعراض عن الجاهلين، باب: احتمال الأذى، باب: الغضب** إذا انتهكت حرمت الشرع، والانتصار لدين الله تعالى، **باب: أمر** ولاية الأمور بالرفق برعاياهم، ونصيحتهم، والشفقة عليهم، والنهي عن غشهم والتشديد عليهم، وإهمال مصالحهم والغفلة عنهم وعن حوائجهم، **باب: الوالي العادل، باب: وجوب طاعة** ولاية الأمور في غير معصية، وتحريم طاعتهم في المعصية، **باب: النهي** عن سؤال الإمارة، واختيار ترك الولايات إذا لم يتعيّن عليه أو تدعّ حاجةً إليه، **باب: حثّ** السلطان والقاضي وغيرهما من ولاية الأمور على اتّخاذ وزير صالح، وتحذيرهم من قراء السوء والقبول منهم، **باب: النهي** عن تولية الإمارة والقضاء وغيرهما من الولايات لمن سألها أو حرص عليها فعرض بها.

ثم (١٩) كتاباً، وأغلب الكتب يتضمن أبواباً، وفيما يأتي ذكر أسماء الكتب مع عدد الأبواب:

**كتاب الأدب (١٦)، كتاب أدب الطعام (١٧)، كتاب اللباس (١٠)، كتاب آداب النوم والاضطجاع (٣)، كتاب السلام (١٣)، كتاب عيادة المريض وتشجيع الميت، والصلاة عليه، وحضور دفنه، والمكث عند قبره بعد دفنه (٢٢)، كتاب آداب السفر (١٤)، كتاب الفضائل (٥٢)، كتاب الاعتكاف، كتاب الحجّ، كتاب الجهاد (٦)، كتاب العلم (١)، كتاب حمد الله وشكره، كتاب الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم، كتاب الأذكار (٦)، كتاب الدعوات (٣)، كتاب الأمور المنهية عنها (١١٦)، كتاب المنثورات والملح، كتاب الاستغفار (١).**

### غرضه من تأليفه:

قال رحمه الله في مقدمته: "...فَرَأَيْتُ أَنْ أَجْمَعَ مُخْتَصَرًا مِنَ الْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ، مُشْتَمَلًا عَلَى مَا: يَكُونُ طَرِيقًا لِصَاحِبِهِ إِلَى الْآخِرَةِ، وَمُخَصِّلًا لِأَدَابِهِ الْبَاطِنَةِ وَالظَّاهِرَةِ. جَامِعًا لِلتَّرغِيبِ وَالتَّرهيبِ، وَسَائِرِ أَنْوَاعِ آدَابِ السَّالِكِينَ: مِنْ أَحَادِيثِ الرُّهْدِ، وَرِيَاضَاتِ التُّفُوسِ، وَتَهْدِيَةِ الْأَخْلَاقِ، وَطَهَارَاتِ الْقُلُوبِ وَعِلَاجِهَا، وَصِيَانَةِ الْجَوَارِحِ وَإِرْزَالَةِ اعْوَجَاجِهَا، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ مَقَاصِدِ الْعَارِفِينَ.

### منهجه فيه:

قال الإمام النووي رحمه الله: " وَأَلْتَزِمُ فِيهِ أَنْ لَا أَذْكَرُ إِلَّا حَدِيثًا صَحِيحًا مِنَ الْوَاضِحَاتِ، مُضَافًا إِلَى الْكُتُبِ الصَّحِيحَةِ الْمَشْهُورَاتِ، وَأَصْدِرُ الْأَبْوَابَ مِنَ الْقُرْآنِ الْعَزِيزِ بِآيَاتِ كَرِيمَاتٍ، وَأَوْشَحُ مَا يَحْتَاجُ إِلَى ضَبْطٍ أَوْ شَرْحٍ مَعْنَى حَفِيٍّ بِنَفَائِسٍ مِنَ التَّنْبِيهَاتِ. وَإِذَا قُلْتُ فِي آخِرِ حَدِيثٍ: مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ فَمَعْنَاهُ: رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ.

وَأَنَا سَائِلٌ أَحَا أَنْتَفَعَ بِشَيْءٍ مِنْهُ أَنْ يَدْعُو لِي، وَلِوَالِدَيْ، وَمَشَائِخِي، وَسَائِرِ أَحْبَابِنَا، وَالْمُسْلِمِينَ أَجْمَعِينَ. وَعَلَى اللَّهِ الْكَرِيمِ اعْتِمَادِي، وَإِلَيْهِ تَفْوِضِي وَاسْتِنَادِي، وَحَسْبِيَ اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ.

ذكر بعضهم أن النووي رحمه الله: أورد فيه (القليبات) و(السلوكيات) و(الثواب والجزاء)، معتمداً على الكتاب والسنة، وذكر من السنة القولية منها والفعلية والتقريبية والوصفية جرياً على تعريف الجمهور. ويلاحظ أنه قسم كتابه على **المنطلقات والوسائل والأهداف**، فله دره.

### مصادره:

منها: (موطأ الإمام مالك بن أنس، ومسند الإمام أحمد بن حنبل، ومسند الإمام الدارمي، وصحيح الإمام البخاري، وصحيح الإمام مسلم، وسنن الإمام أبي داود البسجستاني، وسنن الإمام الترمذي، والشَّمائل **الحمدية** للإمام الترمذي، وسنن الإمام النسائي، وسنن الإمام ابن ماجه، وصحيح الإمام ابن خزيمة، وسنن الإمام الدارقطني، ومعالم السنن للإمام الخطابي، والمستدرک على الصحيحين، ومعرفة علوم الحديث كلاهما للإمام الحاكم النيسابوري، وسنن الإمام البيهقي، والجمع بين الصحيحين للإمام الحميدي، والصحاح تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري، والأذكار له أي النووي... رضي الله عنهم، وغير ذلك .

### ثناء العلماء على رياض الصالحين

قال الإمام النووي رحمه الله: " وَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ سَائِقًا لِلْمُعْتَنِي بِهِ إِلَى الْخَيْرَاتِ، حَاجِرًا لَهُ عَنْ أَنْوَاعِ الْقَبَائِحِ وَالْمُهْلِكَاتِ " (٦).

قال الإمام شمس الدين العثماني (ت: ٨٠٠هـ) رحمه الله: " والأذكار، ورياض الصالحين، وهما كتابان عظيمان مُهِمَّان " (٧).

قال: الإمام الذهبي (ت: ٧٤٨ هـ) رحمه الله: " فَعَلَيْكَ يَا أَخِي بِتَدْبِيرِ كِتَابِ اللَّهِ، وَبِإِدْمَانِ النَّظَرِ فِي (الصَّحِيحَيْنِ)، وَ (سُنَنِ النَّسَائِيِّ)، وَ (رِيَاضِ النَّوَاوِيِّ) وَ (أَذْكَارِهِ)، تُفْلِحُ وَتَنْجَحُ " (٨).

وقال أيضاً: " وقد نفع الله الأمة بتصانيفه، وانتشرت في الأقطار، وجلبت إلى الأمصار، فمنها: المنهاج في شرح مسلم، وكتاب الأذكار، وكتاب رياض الصالحين، وكتاب الأربعين حديثاً " (٩).

وقال الإمام السخاوي (ت: ٩٠٢ هـ) رحمه الله في وصف: " رياض الصالحين "، و" الأذكار ": " وهما جليلان لا يُسْتَعْنَى عَنْهُمَا " (١٠).

(٦) مقدمة رياض الصالحين.

(٧) طبقات الفقهاء الكبرى: (٢ / ٧١١).

(٨) سير أعلام النبلاء، الذهبي: (١٩ / ٣٤٠).

(٩) تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام للإمام الذهبي (١٥ / ٣٢٤).

(١٠) المنهل العذب الروي في ترجمة قطب الأولياء النووي: (٢٠).

وقال الإمام ابن عَلَّان رحمه الله: "...إنه قد جمع ما يحتاجُ إليه السَّالِكُ في سائرِ الأحوالِ، واشتمَلَ على ما ينبغي التخلُّقُ به من الأخلاقِ، والتَّمسُّكُ به من الأقوالِ والأفعالِ، مُعْتَرِفاً له من عُبَابِ الكِتَابِ والسُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ، ناقلاً لتلك الجواهرِ من تلك المعادنِ السُّنِّيَّةِ..." (١١).

### الشروح والتعليقات على رياض الصالحين:

١. تبصرة السارحين في كتاب رياض الصالحين، للإمام محمد بن أحمد الديباجي (ت: ٧٧٥هـ).
٢. الفوائد المترعة الحياض في شرح كتاب الرياض: للإمام المحقق أحمد بن سليمان بن كمال باشا الحنفي (ت: ٩٤٠ هـ).
٣. دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين: للإمام محمد علي بن محمد بن عَلَّان الصديقي الشافعي (ت: ١٠٥٧ هـ).
٤. شرح رياض الصالحين، تهذيب لكتاب (دليل الفالحين)، للشيخ مصطفى جويل.
٥. شرح رياض الصالحين لفضيلة الشيخ محمد علي الصابوني (ت: ٢٠٢١م).
٦. دليل الراغبين إلى شرح رياض الصالحين، د. فاروق حمادة.
٧. شرح رياض الصالحين، للشيخ محمد إلياس الباره بنكوي.
٨. منهل الواردين شرح رياض الصالحين، للشيخ الدكتور صبحي إبراهيم صالح (ت: ١٩٨٦م). وللاستزادة يراجع "جامع الشروح والحواشي": (١٠٠٠ / ٢).

### ترجمة موجزة للإمام النووي رحمه الله

قال الإمام الذهبي رحمه الله:

هو: محيي الدين، أبو زكريا، يحيى بن شرف بن مُرَيِّ بن حَسَنِ النَّوَوِيِّ الشَّافِعِيِّ. مفتي الأُمَّة، شيخُ الإسلامِ، الحافظُ الفقيهُ الشَّافِعِيُّ الرَّاهِدُ، أحدُ الأعلامِ. [وُلِدَ سَنَةَ: (٦٣١ هـ)، ثم تُوِّفِيَ سَنَةَ: (٦٧٦ هـ)]. أي: عاشَ خَمْسًا وأربعينَ (٤٥) سنةً [رضي اللهُ عنه وأرضاه، ورضيَ عنا به...]

قَالَ الشَّيْخُ يَاسِينَ بنِ يوسُفِ المُرَاكِشِيِّ رحمه الله: رَأَيْتُ الشَّيْخَ مَحْيِيَ الدِّينِ، وهو ابنُ عَشْرٍ بَنَوَى والصَّبِيَانُ يُكْرِهُونَهُ على اللَّعِبِ معهم، وهو يَهْرُبُ ويَبْكِ، ويقرأُ القرآنَ في تلكِ الحَالِ، فوَقَعَ في قَلْبِي مَحَبَّتُهُ. وجعلهُ أبُوهُ في دُكَّانٍ بالقَريَةِ، فجعلَ لا يشتغلُ بالبِيعِ والشِّراءِ عن القرآنِ، فوَصَّيْتُ الَّذِي يُقْرَأُهُ، وقلتُ: هَذَا يُرْجَى أَنْ يَكُونَ أَعْلَمَ أَهْلِ زَمَانِهِ وَأزْهَدَهُم. فقالَ لي: أَمْنَجِّمُ أنتَ؟ قلتُ: لا، وإِنَّمَا أَنطَقَنِي اللهُ بِذَلِكَ، فذكرَ ذلكَ لوالِدِهِ، فحرصَ عليه إلى أَنْ ختمَ، وقدَ ناهَرَ الاحتلامَ.

قَالَ ابنُ العَطَّارِ: قَالَ لي الشَّيْخُ: فَلَمَّا كَانَ لي تِسْعَ عَشْرَةَ سَنَةً قَدِمَ بي والدي إلى دَمَشَقَ في سنةٍ تِسْعٍ وأربعينَ، فسكنتُ المَدْرَسَةَ الرَّوَّاحِيَّةَ، وبقيتُ نحوَ سَتينَ لَمْ أَضَعْ جَنِيَّ إلى الأَرْضِ. وكانَ قُوتِي [أي: طعامي وزادي وأكلي] فيها جَرَابَةً المَدْرَسَةِ لا غير، وحفظتُ "التَّنبِيَةَ" في نحوِ أربَعَةِ أَشْهُرٍ ونصفٍ.

(١١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين (١ / ٢٤).

قَالَ: وَقَرَأْتُ حِفْظًا رُبْعَ " الْمُهْدَبِ " فِي بَاقِي السَّنَةِ، وَجَعَلْتُ أُشْرِحُ وَأُصَحِّحُ عَلَى شَيْخِنَا كِمَالِ الدِّينِ إِسْحَاقَ بْنِ أَحْمَدَ المَغْرِبِيِّ، وَلَا زَمْتُهُ فَأَعْجَبَ بِي وَأَحْبَبَنِي، وَجَعَلَنِي أُعِيدُ لِأَكْثَرِ جَمَاعَتِهِ.

قَالَ: وَذَكَرَ لِي الشَّيْخُ أَنَّهُ كَانَ يَقْرَأُ كُلَّ يَوْمٍ اثْنَيْ عَشَرَ دَرْسًا عَلَى المَشَايخِ شَرْحًا وَتَصْحِيحًا؛ دَرْسِينَ فِي " الوَسِيطِ "، وَدَرْسًا فِي " المِهْدَبِ "، وَدَرْسًا فِي " الجَمْعِ بَيْنَ الصَّحِيحِينَ "، وَدَرْسًا فِي " صَحِيحِ مُسْلِمٍ "، وَدَرْسًا فِي " اللُّمَعِ " لِابْنِ جَيِّ [وَهُوَ فِي النُّحُو]، وَدَرْسًا فِي " إِصْلَاحِ المَنْطِقِ " لِابْنِ السِّكِّيتِ، وَدَرْسًا فِي " التَّصْرِيفِ "، وَدَرْسًا فِي أَصُولِ الفِقْهِ، تَارَةً فِي " اللُّمَعِ " لِأَبِي إِسْحَاقَ، وَتَارَةً فِي " المُنْتَخَبِ " لِفَخْرِ الدِّينِ [الرَّازِي]، وَدَرْسًا فِي أَسْمَاءِ الرِّجَالِ، وَدَرْسًا فِي أَصُولِ الدِّينِ. وَكُنْتُ أَعْلِقُ جَمِيعَ مَا يَتَعَلَّقُ بِهَا مِنْ شَرْحٍ مُشْكَلٍ، وَوَضُوحِ عِبَارَةٍ، وَضَبِطِ لُغَةٍ، وَبَارَكَ اللهُ لِي فِي وَقْتِي.

وَقَالَ: كُنْتُ مَرِيضًا بِالرَّوْحِيَّةِ، فَبِينَا أَنَا فِي لَيْلَةٍ فِي الصَّفَةِ الشَّرْقِيَّةِ مِنْهَا - وَأَبِي، وَإِخْوَتِي نَائِمُونَ إِلَى جَنْبِي -، إِذْ نَشَّطَنِي اللهُ وَعَافَانِي مِنْ أَلْمِي، فَاشْتَاقْتُ نَفْسِي إِلَى الدِّكْرِ، فَجَعَلْتُ أُسَبِّحُ، فَبِينَا أَنَا كَذَلِكَ بَيْنَ السِّرِّ وَالْجَهْرِ إِذَا شِئِخٌ حَسَنُ الصُّورَةِ، جَمِيلُ المَنْظَرِ، يَتَوَضَّأُ عَلَى البِرْكَةِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ، فَلَمَّا فَرَغَ أَتَانِي قَالًا: يَا وَلَدِي، لَا تَذْكُرِ اللهُ تُشَوِّشُ عَلَى وَالِدِكَ وَإِخْوَتِكَ وَأَهْلِ المَدْرَسَةِ. فَقُلْتُ: مَنْ أَنْتَ؟! قَالَ: أَنَا نَاصِحٌ لَكَ، وَدَعَوِي أَكُونَ مَنْ كُنْتُ. فَوَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّهُ إبْلِيسُ، فَقُلْتُ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، وَرَفَعْتُ صَوْتِي بِالتَّسْبِيحِ، فَأَعْرَضَ، وَمَشَى إِلَى نَاحِيَةِ بَابِ المَدْرَسَةِ، فَانْتَبَهَ وَالِدِي وَالجَمَاعَةُ عَلَى صَوْتِي، فَقَمْتُ إِلَى بَابِ المَدْرَسَةِ فَوَجَدْتُهُ مَقْفَلًا، وَفَتَشَّتْهَا فَلَمْ أَجِدْ فِيهَا أَحَدًا غَيْرَ أَهْلِهَا. فَقَالَ لِي أَبِي: يَا بَحِي، مَا خَبْرُكَ؟! فَأَخْبَرْتُهُ الخَبَرَ، فَجَعَلُوا يَتَعَجَّبُونَ! وَقَعَدْنَا كُنَّا نَسَبِّحُ وَنَذْكُرُ.

قَالَ شَيْخُنَا ابْنُ العَطَّارِ: ذَكَرَ لِي شَيْخُنَا رَحِمَهُ اللهُ أَنَّهُ كَانَ لَا يَضِيغُ لَهُ وَقْتًا فِي لَيْلٍ وَلَا نَهَارٍ إِلَّا فِي وَظِيفَةٍ مِنَ الاِشْتِغَالِ بِالْعِلْمِ، حَتَّى فِي ذَهَابِهِ فِي الطَّرِيقِ يَكْرُرُ أَوْ يَطَالُعُ. وَأَنَّهُ بَقِيَ عَلَى هَذَا نَحْوَ سِتِّ سِنِينَ، ثُمَّ اشْتَغَلَ بِالتَّصْنِيفِ وَالأَشْغَالِ وَالتُّنْصِيحِ لِلْمُسْلِمِينَ وَوَالِدِيهِمْ، مَعَ مَا هُوَ عَلَيْهِ مِنَ المَجَاهِدَةِ لِنَفْسِهِ، وَالعَمَلِ بِدَقَائِقِ الفِقْهِ، وَالحِرْصِ عَلَى الخُرُوجِ مِنْ خِلاَفِ العُلَمَاءِ، وَالمَرَاقَبَةِ لِأَعْمَالِ القُلُوبِ وَتَصَفِيَّتِهَا مِنَ الشَّوَابِ، يُجَاسِبُ نَفْسَهُ عَلَى الخَطِّئَةِ بَعْدَ الخَطِّئَةِ... وَكَانَ إِذَا ذَكَرَ الصَّالِحِينَ ذَكَرَهُمْ بِتَعْظِيمٍ وَتَوْقِيرٍ، وَذَكَرَ مَنَاقِبَهُمْ وَكِرَامَتَهُمْ... وَكَانَ لَا يَأْكُلُ فِي اليَوْمِ وَاللَّيْلَةِ إِلَّا أَكْلَةً بَعْدَ عِشَاءِ الآخِرَةِ، وَلَا يَشْرَبُ إِلَّا شُرْبَةً وَاحِدَةً عِنْدَ السَّحْرِ، وَلَا يَشْرَبُ المَاءَ المَبْرَدَ.

وَقَدْ نَفَعَ اللهُ الأُمَّةَ بِتَصَانِيفِهِ، وَانْتَشَرَتْ فِي الأَقْطَارِ، وَجُلِبَتْ إِلَى الأَمْصَارِ، فَمِنْهَا: المَنْهَاجُ فِي شَرْحِ مُسْلِمٍ، وَالأَذْكَارُ، وَالجَمْعُ فِي شَرْحِ المِهْدَبِ....

سَافَرَ الشَّيْخُ إِلَى نَوَى، وَزَارَ القُدْسَ وَالحَلِيلَ، وَعَادَ إِلَى نَوَى، وَتَمَرَّضَ عِنْدَ أَبِيهِ.

قَالَ ابْنُ العَطَّارِ: فَذَهَبْتُ لِعِبَادَتِهِ فَفَرِحَ، ثُمَّ قَالَ لِي: ارْجِعْ إِلَى أَهْلِكَ. وَوَدَّعْتُهُ وَقَدْ أَشْرَفَ عَلَى العَافِيَةِ، وَذَلِكَ يَوْمَ السَّبْتِ، ثُمَّ تُوفِّيَ لَيْلَةَ الأَرْبَعَاءِ... وَقَدْ رثَاهُ غَيْرُ وَاحِدٍ يَبْلُغُونَ عِشْرِينَ نَفْسًا بِأَكْثَرِ مِنْ سِتِّمِائَةِ بَيْتٍ.

قَالَ أَبُو الحُسَيْنِ: وَقَالَ لِي جَمَاعَةٌ بَنَوِي أَنَّهُمْ سَأَلُوهُ يَوْمًا أَنْ لَا يَنْسَاهُمْ فِي عَرَصَاتِ القِيَامَةِ، فَقَالَ لَهُمْ: إِنَّ كَانَ لِي تَمَّ [أَي: هِنَالِكَ] جَاءَ اللهُ لَا دَخَلَتْ الجَنَّةَ وَاحِدٌ مِمَّنْ أَعْرَفُهُ وَرَائِي.

قلت [الذهبي رحمه الله]: ولا يحتمل كتابنا أكثر مما ذكرنا من سيرة هذا السيد رحمه الله عليه.  
وهو رجل أشعري العقيدة، معروفٌ بذلك (١٢).

وأختم هذه الكلمات بما ختم به الإمام النووي رحمه الله كتابه "الأذكار"، حيث قال:

" وأستودعُ اللهَ الكريمَ اللطيفَ الرحيمَ مَنِّي ومنَ والديَّ وجميعِ أحبائنا وإخواننا ومنَ أحسنَ إلينا وسائرِ المسلمين: أدياننا وأماناتنا وخواتيمَ أعمالنا، وجميعَ ما أنعمَ اللهُ تعالى به علينا، وأسألهُ سبحانه لنا أجمعينَ سلوكَ سبيلِ الرِّشادِ، والعِصمةَ منَ أحوالِ أهلِ الزَّيغِ والعِنادِ، والدَّوامَ على ذلكَ، وغيرهَ منَ الخيرِ في ازديادِ، وأتضرَّعُ إليه سبحانه أن يرزقنا التَّوفيقَ في الأقوالِ والأفعالِ للصَّوابِ، والجريِّ على آثارِ ذوي البصائرِ والألبابِ.

إنَّه الكريمُ الواسعُ الوهَّابُ، وما توفيقِي إلا بالله، عليه توكلتُ وإليه متَّابٌ.

وَحَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ.

والحمدُ لله ربِّ العالمينَ أَوْلًا وَآخِرًا وَظَاهِرًا وَبَاطِنًا.

وصلواته وسلامه الأطيبان، الأتمان، الأكملان على سيدنا محمدٍ خيرِ خلقه أجمعين، كلِّما ذكره الذَّاكرون، وَعَقَلَ عن ذكره الغافلون، وعلى سائرِ النبيينَ وآلِ كلِّ، وسائرِ الصَّالحينَ".

بقلم

د. نامق إسماعيل مصطفى الكزني

---

(١٢) ينظر: تاريخ الإسلام: ١٥ / ٣٢٤. بتصرف.